

صالح النعامي*

الاتفاق الروسي الأميركي لنزع الكيماوي السوري في ضوء خريطة المصالح الإسرائيلية

” ترى إسرائيل أن الاتفاق الروسي الأميركي لنزع السلاح الكيماوي السوري يحمل في طياته فرصاً ومخاطر عديدة؛ فعلى صعيد الفرص، ترى إسرائيل أن الاتفاق سيسمح بتخليصها من مخاطر السلاح الكيماوي، وسيُطَلَّ مسوِّغات شتَّى حملة عسكرية أميركية على سورية كان يمكن أن تغيّر موازين القوى لمصلحة الثوار، بصورة قد تؤدي في النهاية إلى سقوط النظام وصعود الجماعات الجهادية، وهو ما لا يصبّ في مصلحة إسرائيل. وفي المقابل، فإن إسرائيل تخشى أن ينجح النظام في التملّص من الوفاء بتعهداته في الاتفاق بدعم روسي، ما يعني بقاء مصادر الخطر التي تتهدّد الجبهة الداخلية الإسرائيلية على حالها. إن أحد بواعث القلق الإسرائيلي من الاتفاق تتمثل في أن مسار التوصل إليه قد دلّ على تراجع مكانة الولايات المتحدة الدولية، وأظهر ميلها لعدم استخدام القوة المسلحة لإملاء سياستها الخارجية، وهو ما يؤثر سلباً في التحرك الدولي لمواجهة المشروع النووي الإيراني الذي يُعدّ التهديد الوجودي الأبرز بالنسبة إلى إسرائيل. وفي الوقت ذاته، فإن هناك تبايناً واضحاً في المواقف الإسرائيلية من عودة الدور الروسي في المنطقة. وفي سياق ما تقدّم، تحاول هذه الورقة استكشاف مدى استجابة الاتفاق الروسي الأميركي للمصالح الإسرائيلية في سورية، والوقوف على تداعيات الاتفاق على مكانة الولايات المتحدة وقوة ردعها، وانعكاساتهما على الأمن القومي الإسرائيلي، واستقراء دلالات الدور الروسي الحاسم في التوصل إلى الاتفاق.

“

* باحث وصحافي متخصص في الشأن الإسرائيلي وتقاطعاته المختلفة.

مقدمة

وفي سياق ما تقدّم، تحاول هذه الورقة استكشاف مدى استجابة الاتفاق الروس الأمريكي للمصالح الإسرائيلية في سورية، والوقوف على تداعيات الاتفاق على مكانة الولايات المتحدة وقوة ردعها وآثارهما في الأمن القومي الإسرائيلي، واستقراء دلالات الدور الروسي الحاسم في التوصل إلى الاتفاق.

”
إن خريطة المصالح الإسرائيلية في سورية، تشمل:
إضعاف الدولة السورية إلى أبعد حد، عبر التخلص من
ترسانتها العسكرية، وعلى وجه الخصوص السلاح
الكيماوي

فرص ومخاطر

من المهم الإشارة هنا إلى حقيقة أن المصلحة الأمنية الإسرائيلية كانت من العوامل الرئيسة التي استندت إليها الإدارة الأمريكية في تبرير قرارها توجيه ضربة عسكرية لسورية، ومن ثمّ تسويق موافقتها على التسوية التي اقترحتها موسكو لتجنّب الضربة^(٤). ويمكن القول إنّ خريطة المصالح الإسرائيلية في سورية، تشمل: إضعاف الدولة السورية إلى أبعد حد، عبر التخلص من ترسانتها العسكرية، وعلى وجه الخصوص السلاح الكيماوي، إلى جانب السعي لإطالة أمد الحرب الدائرة بين النظام والثوار، وتقليص فرص الحسم السريع للصراع الداخلي لضمان إنهاك طرفيه.

وسنختبر هنا مدى إسهام الاتفاق الروسي الأمريكي في تحقيق هذين الهدفين:

أولاً: التخلص من السلاح الكيماوي السوري

على الرغم من أن موازين القوى تميل لمصلحة إسرائيل بصورة جارفة، لامتلاكها ترسانة كبيرة من السلاح النووي، ظلّت تل أبيب ترى في

بدا الموقف الإسرائيلي الرسمي من التحرك الأمريكي الأخير ضدّ النظام السوري بعد استخدامه السلاح الكيماوي ضدّ المدنيين في ريف دمشق، مركّباً يشوبه التناقض وانعدام اليقين؛ فقد تجنّدت النخبة الإسرائيلية الحاكمة في البداية لدعم قرار الرئيس أوباما شنّ حملة عسكرية محدودة على سورية ردّاً على استخدام السلاح الكيماوي. وتطوّر رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لمساعدة أوباما في ضمان تأييد الكونغرس لتوجيه الضربة^(١). وبناءً على طلب نتنياهو تحركت منظمة "أيباك"، كبرى منظمات الضغط اليهودية في الولايات المتحدة لمُد يد العون لأوباما في إقناع الكونغرس بتأييد شنّ الضربة^(٢). وفي المقابل، تبيّن أنّ إسرائيل قد تدخلت بقوة لتشجيع الولايات المتحدة على قبول المقترحات الروسية لنزع فتيل الأزمة، وهي المقترحات التي قادت للاتفاق الروسي - الأمريكي بشأن نزع السلاح الكيماوي السوري^(٣). وحتى بعد التوصل للاتفاق، فإنّ جدلاً يسود حالياً في أوساط النخب الإسرائيلية بخصوص تأثيرات الاتفاق المتوقعة في المصالح الإسرائيلية وتدابيراته على واقع قوة ردع الولايات المتحدة ومكانتها العالمية، وتأثيرهما في الأمن القومي الإسرائيلي؛ علاوة على دلالات الدور الروسي في التوصل إلى الاتفاق.

إنّ هذه الورقة تنطلق من فرضية مفادها أنّ إسرائيل أيدت الضربة العسكرية على سورية كآلية للتعامل مع سلاحها الكيماوي ولردع إيران، ثمّ أيدت التسوية الدبلوماسية بوصفها تحقّق هذا الغرض من ناحية، ومن ناحية ثانية تتجاوز التبعات السلبية التي قد تنجم عن الضربة العسكرية، ولا سيّما التأثير في موازين القوى بين النظام وخصومه.

١ قام نتنياهو شخصياً بالاتصال بقيادة الكونغرس لإقناعهم بأنّ الضربة تخدم المصالح الإسرائيلية، انظر: إنيلا شومبليفي، سيوع فشخونو: "نتنياهوو هتجيبس لمعن أوباما" (مساعدة وإقناع: نتنياهو تجنّد لمصلحة أوباما)، واي نت، (٢٠١٣/٩/٨)،
<http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4427114,00.html>

٢ حمي شليف، "هيمور شل ايباك بعد هتكيفا بسوريا علول لهيوت محير كفيد" (رهان أيباك بتأييد الضربة على سوريا قد يكون له ثمن كبير)، هآرتس، (٢٠١٣/٩/٨)،
<http://www.haaretz.co.il/news/world/america/premium-1.2115412>

٣ براك رفيد، "نتنياهوو عوديد هامريكام لكيلل ههتسعا هروسيت" (نتنياهوو شجع الأمريكين على قبول الاقتراح الروسي)، هآرتس،
<http://www.haaretz.co.il/news/politics/1.2120451>

٤ ذكر تشيكو منشه، المعلق السياسي للشبكة الثانية في الإذاعة العبرية أنّ كلمة "إسرائيل" ذكرت ٦٠ مرة خلال النقاشات التي جرت في الكونغرس بخصوص الضربة المتوقعة، وفي النقاش الذي دار بين أعضاء الكونغرس وكلّ من وزير الخارجية جون كيري ووزير الدفاع تشاك هيغل، وقد علّق منشه على قيام كبار موظفي الإدارة الأمريكية بتسليط الضوء على الأمن الإسرائيلي كمسوّغ لتبرير الضربة بالقول إنه يصلح تسمية هذه الضربة بـ "الحملة لحماية إسرائيل"، وجاءت أقوال منشه في برنامج "هذا الصباح" الذي بثّ الساعة السابعة صباحاً، بتاريخ ٢٠١٣/٨/٢٢.

عن السلاح الكيماوي، وقد يتخذ النظام من الواقع الأمني والعسكري ذريعةً للتخلص من التزاماته.

٤. يقرّ الإسرائيليون بأن طابع التعامل مع السلاح الكيماوي يجعل من عملية التفيتش عنه والتخلص منه عملية طويلة ومرهقة^(٧).

ويخشى الإسرائيليون أن يصل السلاح الكيماوي في النهاية إلى أيدي حزب الله أو الجماعات الإسلامية المرتبطة بتنظيم القاعدة، في حال لم يجبر الوفاء بالاتفاق؛ أي أن الإسرائيليين يخشون تحوّل الفرصة الكامنة في الاتفاق إلى خطر.

ومن أجل تلافي ما تقدّم، فإنّ رئيس لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست ووزير الخارجية السابق أفيغدور ليرمان يشترط أن تكون إسرائيل هي "الحكم" على مدى التزام الأسد ببنود الاتفاق^(٨).

ثانياً: إطالة أمد الصراع الداخلي

بالنسبة إلى تقييم تأثير الاتفاق في واقع موازين القوى بين النظام والثوار في سورية، فإنّ معظم الآراء ترى أن الاتفاق يخدم المصلحة الإسرائيلية للدواعي التالية:

١. يسمح الاتفاق بإطالة أمد الصراع الداخلي، ويبعد نقطة الحسم فيه، ما يعني الإجهاد على مزيدٍ من مقدرات القوة العسكرية للدولة السورية. لقد تبين أنّ أحد العوامل التي دفعت القيادة الإسرائيلية لتشجيع الإدارة الأميركية على قبول المبادرة الروسية وتجاوز الضربة العسكرية، هو خوفها من إمكانية أن تسهم أيّ ضربة عسكرية أميركية مهما كانت محدودة، في التأثير في موازين القوى بين النظام والثوار، بصورةٍ تخدم الثوار، ما يعجل بالحسم^(٩).

٧ تتم الإشارة إلى أنه على الرغم من أنّ الرئيس الليبي السابق معمر القذافي قد تطوّع للتعاون مع الغرب في التخلص من مخزونه من السلاح الكيماوي عام ٢٠٠٦، فإنّه حتى الآن لم يجز التخلص إلا من نصف هذا السلاح، مع العلم أنّ مخزون السلاح الكيماوي السوري يبلغ أضعاف ما لدى القذافي. انظر: أور هيلر، "همزراح هتيخون ليخ تداع" (كيف يمكن التأكد ممّا يحدث في الشرق الأوسط)، (٢٠١٣/٩/١٥)، جلوبس،

http://www.globes.co.il/news/article.aspx?did=1000879506#fromelement=hp_deot

٨ يقول ليرمان إنّ لدى إسرائيل تصوّراً استخبارياً واضحاً عن كلّ ما لدى السوريين من سلاح كيماوي وإنّه يجب أن تجري مقارنة ما لدى إسرائيل من معلومات بتلك التي يقدمها نظام الأسد، علاوة على أنّ ليرمان يرى أنّه يجب التخلص من كلّ المرافق المدنية والعسكرية ذات العلاقة بإنتاج السلاح الكيماوي السوري. وردت تصريحات ليرمان في مقابلة أجرتها معه شبكة الإذاعة العبرية الثانية في برنامج "هذا الصباح"، الساعة السابعة، (٢٠١٣/٩/١٥).

٩ الون بن دفيد، "أسد هموخلاش همدوميم طوف ليسرائيل" (الأسد الضعيف الدامي جيّد لإسرائيل)، نعناع، (٢٠١٣/٩/١٢).

السلاح الكيماوي السوري مصدر تهديد إستراتيجي لها، بسبب إمكانية استخدامه ضدّ الجبهة الداخلية الإسرائيلية، ولا سيّما في حال انتقل هذا السلاح إلى أيدي حزب الله، أو وقع في أيدي مجموعات إسلامية يصعب مراكمة الردع إزاءها^(١٠). من هنا رأت إسرائيل في الاتفاق الروسي الأميركي فرصة كبيرة وإنجازاً مهماً من الطراز الأول لأنّه يتضمّن جدولاً زمنياً محدداً للتخلص من السلاح الكيماوي، على اعتبار أنّ تطبيق الاتفاق بحذافيره سيمنع استخدام الكيماوي ضدّ إسرائيل سواء سقط نظام الأسد أو ظلّ يحكم سورية. ومن نافلة القول إنّ التخلص من السلاح الكيماوي السوري يمنح إسرائيل هامش مناورة أوسع في حال قرّرت القيام بعمل عسكري ضدّ سورية مستقبلاً، سواء في ظلّ وجود النظام القائم أو من دونه، على اعتبار أنّ ذلك يمكنها من الإقدام على هذا العمل دون الخوف من ردّة فعل تؤثر جذرياً في الجبهة الداخلية الإسرائيلية. لكن، وعلى الرغم من أنّ الإسرائيليين يؤكّدون على العوائد الإيجابية لالتزام النظام السوري بنزع سلاحه الكيماوي، فهم في المقابل يشكّون في إمكانية تحقيق هذا الهدف على أرض الواقع، ويسوّقون الأسباب التالية لتبرير مخاوفهم:

١. التشكيك في نوايا الأسد، ولا سيّما بعد تصريحه بأنّ عملية جمع الأسلحة الكيماوية ستستغرق وقتاً طويلاً، علاوةً على كلفتها المادية العالية التي قد تصل إلى مليار دولار.

٢. التضارب بين التقديرات الأميركية المعتمدة على المعلومات الاستخبارية الإسرائيلية بشأن ماهيّة مرافق إنتاج السلاح الكيماوي وعددها، والتقديرات الروسية؛ فالأميريكيون يتحدثون عن ٤٥ منشأة، لا تضمّ معامل الإنتاج ومرافق التخزين فقط، بل تضمّ أيضاً مراكز الأبحاث والتطوير، وكلّ المقوّمات العسكرية والمدنيّة المرتبطة بعملية الإنتاج؛ أمّا الروس فيرون أنّه يجب التخلص من السلاح الكيماوي ذاته فقط^(١١). ويخشى الإسرائيليون أن يستغلّ النظام السوري هذا التضارب في إخفاء الكثير من السلاح.

٣. المواجهات العسكرية الدائرة في عموم القطر السوري تصعّب مهمّة المراقبين الدوليين الذين يُفترض أن يقوموا بعمليات البحث

٥ يتوسّع "مركز أبحاث الأمن القومي" الإسرائيلي في إبراز مخاطر السلاح الكيماوي السوري المختلفة، انظر: شلومو بروم، دفيد برفمان، "مشير هنيشك هكيמי بسوريا: بديرخ لبترون مديني؟" (هل أزمة السلاح الكيماوي السوري في طريقها لحلّ سياسي)، دورية مبات عال، عدد ٤٤٦، مركز أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، (٢٠١٣/٩/١٢)،

<http://www.inss.org.il/heb/research.php?cat=95&incat=&read=12045>

٦ Dany Shoham, Syrians chemical weapons: is disarmament possible, BESA Center Perspectives Paper No. 214, September 24, 2013.

وجود "جبهة النصرة" على سبيل المثال في سورية أكثر تجذراً واتساعاً مما تجري تغطيته في وسائل الإعلام؛ إذ تدّعي الدراسة أن ما حقّقه طالبان في أفغانستان في عشر سنوات، تمكّنت "جبهة النصرة" من تحقيقه في غضون عام^(١٥). وفي الواقع، فإن الولايات المتحدة تشارك إسرائيل أيضاً المخاوف من تداعيات سقوط نظام الأسد؛ لذلك جاء تشديد أوباما على أن الحملة العسكرية قد صمّمت بحيث لا تؤدي إلى إسقاط نظام الأسد. وفي إسرائيل يأملون أن يؤدي نجاح تطبيق الاتفاق الأميركي الروسي إلى توفير أرضية ملائمة لعقد مؤتمر "جنيف ٢" الذي من شأنه أن يسهم في انتقال السلطة في سورية بصورة آمنة، ويمنع وقوع البلاد تحت سيطرة تنظيم القاعدة. ويرى عاموس يادلين مدير "مركز أبحاث الأمن القومي" الإسرائيلي، وأفنيّر جولوب الباحث في المركز، أن إسرائيل تأمل أن تتم عملية انتقال السلطة في سورية بصورة منتظمة، بحيث يكون البديل عن الأسد طرفاً براغماتياً يمنع غرق سورية في فوضى مع سيطرة كاملة للتنظيمات الإسلامية المتطرفة، كمصلحة إسرائيلية^(١٦). ومع ذلك، فهناك داخل دوائر صنع القرار في تل أبيب من يرى أنه لا يوجد ضمانات تامة بأن الاتفاق سيقوّض فرص الحسم في الصراع المتواصل حالياً، وهذا ما عبّر عنه وزير الدفاع الإسرائيلي موشيه يعلون في دعوته إلى ضرورة أخذ كلّ السيناريوهات في الحسبان، متوقعاً ألا يظل الأسد في كرسي الحكم إلى أمد بعيد^(١٧).

من هنا، فإنّ الفرص التي يرصدها الإسرائيليون في الاتفاق تكتنفها مخاطر تقلص حجم الرهان عليها، وهذا ما يسهم في تميّز المواقف الإسرائيلية بانعدام اليقين والتردد في كلّ ما يتعلّق بالشأن السوري.

قوة أميركا الردعية ومكانتها الإقليمية

لقد مثل التحالف مع الولايات المتحدة، إحدى ركائز العقيدة الأمنية الإسرائيلية، بسبب عوايدها الكبيرة على الأمن القومي الإسرائيلي، وانطلقت النخب التي تعاقبت على إدارة شؤون الحكم في إسرائيل

٢. لا خلاف داخل إسرائيل على أن الاتفاق يمثل "بوليصة تأمين" لنظام بشّار الأسد، وسيسمح له بالبقاء لفترة طويلة^(١٨). وعلى الرغم من أن الجدل ظلّ محتدماً داخل دوائر صنع القرار والنخبة الإسرائيلية عموماً بشأن الموقف من بقاء نظام الأسد أو إسقاطه، بحيث سادت آراء متضاربة حول هذه المسألة، يمكن القول إن إسرائيل باتت ترى أن مصلحتها الإستراتيجية تقتضي بقاء نظام الأسد، في حال جرى نزاع سلاحه الكيماوي؛ وقد عبّر عن هذا الموقف صراحةً الوزير يعكوف بيرى عضو المجلس الوزاري المصغّر لشؤون الأمن^(١٩). وبحسب المنطق الإسرائيلي، فإنّ وجود رئيس "ضعيف ومكروه" في دمشق يقاتل من أجل بقاءه، يمكن أن يحقق مصلحة إسرائيلية واضحة، وهي منع سقوط مخازن السلاح السوري التقليدي، ولا سيّما الصواريخ البعيدة المدى التي تغطّي كلّ فلسطين المحتلة، في أيدي هذه الجماعات المرتبطة بتنظيم "القاعدة". من هنا، فقد كان الخوف من حدوث تغيير على موازين القوى بين النظام والثوار أحد أهم أسباب تفضيل إسرائيل التسوية الدبلوماسية على الضربة العسكرية^(٢٠). وبحسب المنطق الإسرائيلي، فإنّ النظام السوري، على الرغم من أنه عدوّ، يتصرّف حسب منطق "عقلاني"، في حين أن الجماعات المرتبطة بتنظيم "القاعدة" تتصرّف بصورة مغايرة؛ فنظام الأسد يعي أن لديه ما يخسره في حال تحدّى إسرائيل، أمّا تنظيم القاعدة فيمكنه أن يتحدّى إسرائيل دون أدنى اعتبار لردّة الفعل الإسرائيلية^(٢١). ولا خلاف بين دوائر التقدير الإستراتيجي في تل أبيب على أنه في حال سقط نظام الأسد وحلّت محلّه الجماعات المرتبطة بتنظيم "القاعدة"، فإنّ إسرائيل ستكون الطرف المستهدف من جانب هذه الجماعات. تشير دراسة صادرة عن "مركز المعلومات والاستخبارات حول الإرهاب" الإسرائيلي إلى ما قاله زعيم "القاعدة" أيمن الظواهري الذي أكّد في شباط / فبراير ٢٠١٢ أنه بعد إسقاط نظام الأسد ستصبح سورية قاعدة انطلاق لمقاتلي الجهاد الذين "سيكون هدفهم إنشاء دولة تحمي أراضي المسلمين، وتحرير الجولان والاستمرار في الجهاد إلى أن تُرفع رايات النصر فوق القدس المحتلة^(٢٢). وتحذّر الدراسة من أن

١٠ ايال زيسر، "عتيد أسد عود لفنّاف" (مستقبل الأسد لا يزال أمامه)، إسرائيل اليوم، (٢٠١٣/٩/٨).

<http://www.israelhayom.co.il/opinion/116717>

١١ شالوم يروشالمي، "أبياك منهل مافاك لتكيفا فجوهرير يسرائيل لمعرا" (أبياك تشنّ نضالاً من أجل الضربة وتجرّ إسرائيل للمواجهة) معاريف، (٢٠١٣/٩/٨).

<http://www.nrg.co.il/online/1/ART2/505/429.html?hp=1&cat=666&loc=3>

١٢ ألون بن دافيد، المرجع نفسه.

١٣ المرجع نفسه.

١٤ انظر: "جبهة النصرة، أرغون جهادستي همشتيخ لالاعادة" (جبهة النصرة، تنظيم سلفي ينتمي للقاعدة)، مركز المعلومات والاستخبارات حول الإرهاب، (٢٠١٣/٩/١٧).

<http://www.terrorism-info.org.il/he/article/20573>

١٥ المرجع نفسه.

١٦ عاموس يادلين، أفنيّر جولوب، "تعرفوت تسفئيت أميركايت بسوريا - لإوور تخليت إستراتيجيت رحفاه فلو راك كبوعلت عنيشا" (تدخل عسكري أميركي في سورية على ضوء محضلة إستراتيجية واسعة وليس عملية عقابية فحسب)، مبات عال، عدد ٤٥٩، (٢٠١٣/٨/٢٨).

<http://www.inss.org.il/heb/research.php?cat=94&incat=&read=11962>

١٧ هذا ما نقلته عنه في كرميلا منشئه، المراسلة العسكرية لشبكة الإذاعة العبرية الثانية، صباح ٢٠١٣/٩/٢٣.

ونظراً لاختلاف النخب الإسرائيلية الواضح في تقييم سلوك أوباما تجاه ملفّ السلاح الكيماوي السوري وتداعياته على قوّة الردع الأميركية العالمية، وتأثيرها في الأمن القومي الإسرائيلي، فإننا سنعرض لحجج ثلاثة تيارات إسرائيلية، هي: تيار اهتمّ بتوجيه النقد للسلوك الإسرائيلي وعدّ سلوك إسرائيل أسهم في تقليص مكانة الولايات المتحدة وتهوي قوّة ردعها؛ وتيار ثانٍ ركّز على تبيان دواعي القلق من سلوك الرئيس أوباما؛ وتيار ثالث يمتدح أنماط تعاطي أوباما مع الملفّ السوري، ويراه يخدم المصلحة الإسرائيلية.

تيار منتقدي السلوك الإسرائيلي

يرى هذا التيار أنّه يجب ألا يجري تقييم السياسة الأميركية تجاه سورية من زاوية المصالح الإسرائيلية، بل من زاوية المصالح الأميركية، وأنّه على الحكومة الإسرائيلية إعادة تقييم سياساتها التي تسهم - كما يرون - في تقليص قدرة الإدارة الأميركية على القيام بدورها الريادي في العالم. ويرى هؤلاء أنّه قد جرى انتخاب أوباما للوفاء ببرنامجه الانتخابي الذي تعهّد فيه بالانسحاب من العراق وأفغانستان، وتجنّب التورّط في مواجهات عسكرية، في مناطق ليست فيها للولايات المتحدة مصالح وجودية. ويرى الكاتب الإسرائيلي رون مايفرغ أنّ سياسة أوباما القائمة على تقليص التدخل الخارجي قد أتت أكلها على الصعيد الاقتصادي، إذ تعاطم حجم قطاع الطاقة في الولايات المتحدة، كما أنّ تقليص النفقات الأمنية أسهم في تقليص مستويات البطالة، وعزّز واقع حياة الطبقة الوسطى، وتمكّنت الإدارة من التغلّب على مشكلة الفائض في إنتاج السيارات^(٢١). ويرى مايفرغ أنّ تآكل قوّة الردع الأميركية قد جاء نتاج الاستخدام المفرط للقوّة الذي اتّسم به عهد جورج بوش الابن، وليس بسبب ميول أوباما الانعزاليّة. وهناك من يرى أنّ فزع نتنياهو من توجّهات أوباما لتقليص دور الولايات المتحدة في مواجهة التحدّيات التي تعترض العالم يرجع إلى إخفاقه في إدراك مغزى التحوّلات التي شهدتها العالم، ولا سيّما الملل الذي أصاب الغرب بصورة عامّة والولايات المتحدة بصورة خاصّة من التورّط في الحروب، لذا فهو غير قادر على سبر أغوار ميل أوباما لتفضيل الحلول الدبلوماسية على سواها^(٢٢). ويصل بعض المعلّقين الإسرائيليين

من افتراض مفاده أنّه كلّما حافظت الولايات المتحدة على قوّة ردعها العالمية ومكانتها الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط، فإنّ هذا يمثل مصلحة إستراتيجية عليا للدولة العبريّة^(٢٣). ويوضح إفرام عنبار، مدير مركز "بيغن - السادات للدراسات الإستراتيجية" التابع لجامعة بار إيلان، أنّ قوّة ردع الولايات المتحدة العالمية تؤثر أساساً في مكانتها في منطقة الشرق الأوسط التي تؤثر بدورها في قوّة الردع الإسرائيلية^(٢٤).

ويرى يادلين وجولوب أنّ أحد الأسباب الرئيسة التي دفعت إسرائيل لتغيير موقفها وتأييد الحلول الدبلوماسية لأزمة السلاح الكيماوي السوري، هو خشيتها أن تفشل الضربة الأميركية

من هنا، فقد اهتمّ الإسرائيليون بدراسة المسار الذي قطعتة الإدارة الأميركية حتّى الوصول إلى الاتفاق الروسي الأميركي، ومدى تأثيره في واقع قوّة ردع الولايات المتحدة ومكانتها الإقليمية.

ويرى يادلين وجولوب أنّ أحد الأسباب الرئيسة التي دفعت إسرائيل لتغيير موقفها وتأييد الحلول الدبلوماسية لأزمة السلاح الكيماوي السوري، هو خشيتها أن تفشل الضربة الأميركية، ما يمّس بقوّة ردع الولايات المتحدة ومكانتها العالمية والإقليمية، وهذا ما يؤثر سلباً في الأمن القومي الإسرائيلي، على اعتبار أنّ المسّ بقوّة الردع الأميركية سيؤدّي للمسّ بقوّة الردع الإسرائيلية^(٢٥).

١٨ انظر: رؤفين بيدهتسور، "تربوت هيبطون هيسرائيليت، مكورتيتها فشبعنا على هدموكراتيا هيسرائيليت" (ثقافة الأمن الإسرائيلية، مصادرها وتأثيرها في الديمقراطية الإسرائيلية)، مجلة بوليتكا، عدد ٤٦٥، (مايو ٢٠٠٢)، ص ١٥-٤٦.

١٩ يرى عنبار أنّ قوّة الردع الإسرائيلية لا ترتبط بقوّتها العسكرية وقدرتها على حسم الحروب والمواجهات المحدودة فقط، بل تتأثر أيضاً بمكانة الولايات المتحدة في المنطقة. وبحسب عنبار، فإنّ الانطباع السائد بأنّ الولايات المتحدة لن تتخلّى عن إسرائيل في أيّ مواجهة يمثّل بحذ ذاته عنصراً مركزياً في الردع الإسرائيلي، ويجعل الدول الأخرى تأخذ ذلك بعين الاعتبار لدى وضعها مسألة التصعيد مع إسرائيل على جدول أعمالها. انظر:

Efraim Inbar, The 2011 Arab Uprisings and Israel's National Security, *Mideast Security and Policy Studies* No. 95, The Begin-Sadat Center For Strategic Studies.

٢٠ عاموس يادلين، أفنير جالوب، المرجع نفسه.

٢١ رون مايفرغ، "بروخيم هبائيم لمتسئوت هعولاميت هحدشاه" (أهلاً وسهلاً بالواقع العالمي الجديد)، *ذي بوست*، (٢٠١٣/٩/٢٣).

<http://www.thepost.co.il/news/new.aspx?pn6Vq=EE&0r9VQ=EFHKM>

٢٢ هذا ما تعبّر عنه الكاتبة أرثيلا ملميد، انظر: أرثيلا ملميد، "نتنياهو لو مفين سفات روحاني فأوباما" (نتنياهو لا يتقن لغة روحاني وأوباما)، *واي نت*، (٢٠١٣/٩/٢٥).

<http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4433354,00.html>

على إيران^(٢٤). ووفقاً لهذا التقييم، فإن سلوك أوباما تجاه الكيماوي السوري شحَّ ضعفاً، ولسان حال القلقين يقول: إذا كان قد رفض إرسال طائراته لمهاجمة سورية فإنه سيكون أكثر تردداً بالنسبة إلى إيران. وهناك من يرى أن الحذر من خوض غمار مواجهات عسكرية بسبب آثار تجارب إدارة بوش الابن، يدفع أوباما إلى تفضيل الخيارات الدبلوماسية على غيرها من الحلول، وهو ما دفع البعض إلى التحذير من إمكانية حدوث تقارب إيراني - أميركي، مشيرين في هذا السياق إلى أن أوباما يلفت لأول مرة إلى دور إيران "الإيجابي" في التوصل إلى اتفاق تجريد سورية من السلاح الكيماوي. ويرفض أوري إلتيسور، رئيس ديوان رئيس الحكومة الإسرائيلية سابقاً، ورئيس تحرير صحيفة "مكور ريشون" اليمينية إشارات الرئيس أوباما إلى أن سلوكه تجاه إيران سيكون مختلفاً عن سلوكه تجاه سورية، ويرى إلتيسور أن سلوك أوباما تجاه نظام الأسد دلّ على أنه عندما يهدد فهو لا يقصد تنفيذ تهديده، وهذا ما سيدفع نحو تآكل قوة الردع الأميركية^(٢٥). وقد وصل الأمر ببعض الباحثين الإسرائيليين إلى حدّ التحذير من أن السلوك الأميركي تجاه سورية سيؤثر سلباً في مكانة إسرائيل الإقليمية التي تحسّنت بعد عزل الرئيس المصري محمد مرسي، على اعتبار أن ثقة حلفاء الولايات المتحدة العرب بدورها قد تراجعت بسبب ترددّ الرئيس أوباما، وهو ما قد يؤدي إلى المسّ بمكانة أميركا الإقليمية، ما سيؤدي في النهاية إلى المسّ بمكانة إسرائيل ذاتها ومصالحها^(٢٦).

وعلى الرغم من دواعي الحذر التي يقتضيها التعامل الدبلوماسي بين القيادتين الإسرائيلية والأميركية، والتي لا تسمح بتديد انتقادات علنية لسلوك الإدارة الأميركية، فإنه يمكن القول إن القادة الإسرائيليين أقرب إلى معسكر القلقين من تداعيات التعاطي الأميركي مع الملف السوري. إذ تسود خشية في دوائر صنع القرار في تل أبيب من تراجع أوباما عن وفائه بالتزامه المعلن بمنع إيران من امتلاك سلاح نووي، وهذا

إلى أن يحمل تنبأه قدرًا من المسؤولية عن تراجع مكانة الولايات المتحدة الإقليمية؛ لإصراره على رفض قيام دولة فلسطينية حقيقية، ما قلّص من صدقية واشنطن بوصفها وسيطاً نزيهاً لدى العرب، وهذا أسهم بدوره في ثني أوباما عن التحرك بصورة فاعلة لإحباط المشروع النووي الإيراني^(٢٧).

”

هناك من يرى أن التردد الأميركي في مهاجمة نظام الأسد قد أوصل رسالة سلبية لحلفائه في طهران، مفادها أنه بإمكانهم تطوير برنامجهم النووي في ظل أقل قدر من المخاوف برّد عسكري أميركي

“

تيار القلقين من السلوك الأميركي

يرى القلقون أنه على الرغم من أن النظام السوري بدا موافقاً على نزع سلاحه الكيماوي في ظلّ تهديد أميركي بشنّ عمل عسكري على سورية، ففي المقابل ظهر بجلاء أن الإدارة الأميركية كانت مترددة إلى حدّ كبير في خطواتها تجاه الأسد، علاوة على بروز حجم المعارضة الجماهيرية الواسعة داخل الولايات المتحدة للتدخل في الشأن السوري، على اعتبار أن الرأي العام الأميركي الذي تولى إدارة أوباما اهتماماً كبيراً بتوجهاته، لا يزال متأثراً بتجربة التورط الأميركي في كلّ من العراق وأفغانستان. وهناك من يرى أن التردد الأميركي في مهاجمة نظام الأسد قد أوصل رسالة سلبية لحلفائه في طهران، مفادها أنه بإمكانهم تطوير برنامجهم النووي في ظلّ أقل قدر من المخاوف برّد عسكري أميركي.

وإذا أخذ بعين الاعتبار أن المخاطر الناجمة عن فتح مواجهة مع إيران ستكون أكبر من تلك الناجمة عن مواجهة النظام السوري، فإن القلقين في الجانب الإسرائيلي يرون أن ترددّ إدارة أوباما وتوجهات الرأي العام الأميركي سيُشجّع الإيرانيين على تحدّي الولايات المتحدة، بحيث يدفعها لمواصلة تطوير برنامجها النووي، على الرغم من حجم المعاناة الناجمة عن العقوبات الاقتصادية التي فرضها الغرب

٢٤ هناك الكثير من الباحثين الإسرائيليين الذين يعبرون عن هذا الموقف، انظر مثلاً: نداف إيال، "هأكداح هتعون شل أوباما هتجلّاه كأكداح ريك لمداي" (لقد تبين أن مدسّس أوباما فارغ جدّاً)، معاريف، (٢٠١٣/٩/٢٤)

<http://www.nrg.co.il/online/1/ART2/508/966.html?hp=1&cat=479&loc=2>

٢٥ أوري إلتيسور، "بوتن فيس أوباما" (بوتن في مواجهة أوباما)، معاريف، (٢٠١٣/٩/١٣)، <http://www.nrg.co.il/online/1/ART2/508/006.html?hp=1&cat=479&loc=8>

٢٦ يتبنّى هذه النظرة يهودا بلنغا، الباحث في "مركز بيغن - السادات للدراسات الإستراتيجية"، الذي يؤكّد أن أوباما نجح في زعزعة قوة الردع الأميركية، انظر: يهودا بلينغا، "ملحما هكراه هحدشاه روسيا منتسحت" (لقد انتصرت روسيا في الحرب الباردة)، معاريف، (٢٠١٣/٩/١٠)،

<http://www.nrg.co.il/online/1/ART2/505/939.html?hp=1&cat=479>

23 Barak Ravid, Obama's package deal: Nuke-free Iran for Palestinian state, Sep. 24, 2013, <http://www.haaretz.com/news/diplomacy-defense/premium-1.548884>

ولم يقتصر القلق الإسرائيلي من التوجهات الانعزالية على الباحثين والمعلقين، بل تعداه إلى دوائر صنع القرار؛ إذ وقف وزير الشؤون الإستراتيجية والاستخبارات والعلاقات الدولية يوفال شطينتس ملياً أمام تصريح الرئيس أوباما بأن الولايات المتحدة لن تواصل لعب دور "شرطي العالم"، محذراً من التداعيات السلبية على إسرائيل في حال جرى تبني أي سياسات "تشبيبتوجهات انعزالية"^(٣١). ويقترح شطينتس على الإدارة الأميركية نموذج عمل يحد من الاتهامات الموجهة لها بالانعزالية، عبر رفد تحركاتها على الساحة الدولية بتحركات عسكرية "مصدقة" تدل على أن الولايات المتحدة عندما تهدد بعمل عسكري ما فإنها بالفعل تقصد ما تقول^(٣٢). ويصل البعض في إسرائيل إلى حد التعبير عن "اليقين" بأنه لم يعد بالإمكان وقف التآكل في مكانة الولايات المتحدة الدولية والإقليمية، وأن العالم كله بات يشكك في قدرة الولايات المتحدة على مواصلة قيادة العالم، محذرين من أن مكانة إسرائيل الدولية ستعترض للضرر أيضاً جراء هذا الواقع^(٣٣).

تيار المتفائلين

لكن في مواجهة القلقين، هناك من يرى أن أوباما نجح في الاختبار السوري نجاحاً كبيراً. ويرى الباحثان الجنرال شلومو بروم ودفيد فريدمان من "مركز أبحاث الأمن القومي" الإسرائيلي أنه بخلاف الانطباع السائد في إسرائيل فإن "الإذعان" السوري وموافقة النظام على نزع سلاحه الكيماوي لم يتسبب إلا بعد أن أدرك النظام وعزابه الروسي أن أوباما جاد في شن عمل عسكري "مصدق"، إذ تبين أن نجاح سياسة أوباما فاق كل التوقعات^(٣٤). ويلفت بروم وفريدمان

ما وجد تعبيره في ممارسة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو ضغوط مبطنة على الإدارة الأميركية عبر تلميحه بشن عمل عسكري منفرد ضد إيران، لإدراكه أن إدارة أوباما ترى في مثل هذا العمل مصدر تهديد لمصالح الولايات المتحدة في المنطقة والعالم^(٣٥). إن أحد دواعي القلق الإسرائيلي من انعكاسات سلوك أوباما "السلبية" في الملف السوري على التعاطي مع الملف الإيراني، هو الشكوك السائدة في إسرائيل بخصوص قدرة الجيش الإسرائيلي بمفرده على توجيه ضربة عسكرية يمكن أن تحبط المشروع النووي الإيراني^(٣٦).

وما يفاقم الشعور بالقلق لدى المتوجسين في إسرائيل تجاه دلالات الإستراتيجية الأميركية أنهم يرون في سياسة أوباما تجاه الملف السوري مؤشراً واضحاً على تبني توجهات انعزالية، ترمي إلى الكف عن لعب دور "شرطي العالم" وانكفاء الولايات المتحدة على ذاتها، والاهتمام بشؤونها الداخلية، ما دام الأمر لا يتعلق بتهديدات "وجودية" تمس مصالحها. ومن الأمثلة التي يسوقها القلقون للتدليل على التوجهات الانعزالية للإدارة الأميركية حقيقة أن أوباما بات يمنح للأمم المتحدة دوراً أكبر في حال المشاكل العالمية على حساب الولايات المتحدة، وتبني إستراتيجية "القيادة من الخلف" عبر الاستعانة بوكلاء^(٣٧).

لقد مثل ما جاء في خطاب أوباما الأخير في الأمم المتحدة مؤشرات تعزز مخاوف القلقين من سلوكه في الملف السوري، وتمثل دليلاً آخر على رغبته في النأي بالولايات المتحدة عن مواصلة لعب دورها بوصفها قوة عظمى في العالم، بصورة تشي بعدم قدرتها على مواصلة تحمل عبء المسؤولية عن النظام العالمي، وأن أقصى طموح أوباما هو العمل مع المجتمع الدولي اعتماداً على الوسائل الدبلوماسية^(٣٨).

٣١ ليئور مزراحي، "دباريم شرويم ممسراد روش هممشلا، هسار يوفال شطينتس" (الأشياء التي ترى من ديوان رئيس الوزراء، الوزير يوفال شطينتس)، إسرائيل اليوم، (٢٠١٣/٩/١٩)، <http://www.israelhayom.co.il/article/117817>

٣٢ على سبيل المثال، يقلل شطينتس من أهمية مقولة أوباما إن "كل الخيارات متاحة على الطاولة في التعامل مع النووي الإيراني"، ويرى أن منح هذا التهديد الصديق يفرض على الولايات المتحدة إرسال حاملتي طائرات إلى مياه الخليج.

٣٣ هذا ما يذهب إليه الكاتب الإسرائيلي بن كاسبيت الذي يرى أن سلوك أوباما على الصعيد الدولي أشبه بموظف خدمة اجتماعية، وليس زعيم الدولة الأكبر في العالم، انظر: بن كاسبيت، "حوسر هنتسيون هبتسوعي شل أوباما سيخ أوتو عموك بتسا هسوريت" (تجربة أوباما التنفيذية وزطته في المستنقع السوري)، ذي بوست، (٢٠١٣/٩/١٠)، <http://www.thepost.co.il/news/new.aspx?pn6Vq=EE&0r9VQ=EFDFF>

٣٤ يتوقع بروم وفريدمان أن يلتزم الأسد بكل ما جاء في الاتفاق، وأنه لن يلجأ إلى شراء الوقت لإدراكه هامش المناورة الواسع المتاح لأوباما، انظر: شلومو بروم، دفيد برفمان، "شير هنيشك هكيמי بسوريا: بديرخ لبترون مديني؟" (هل أزمة السلاح الكيماوي السوري في طريقها لحل سياسي؟)، دورية مبات عال، عدد ٤٤٦، مركز أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، (٢٠١٣/٩/١٢)، <http://www.inss.org.il/heb/research.php?cat=95&incat=&read=12045>

٣٧ في معرض تأكيد على ضرورة اعتماد إسرائيل على نفسها في مواجهة المشروع النووي الإيراني في أعقاب الصفقة، اقتبس نتنياهو ما جاء في سفر "الآباء" في التلمود، العبارة التالية: "אם אין אני לי، מי אני؟"، ومعناها الحرفي: "إذا لم أكن أنا لنفسي، فمن يكون لي".

٣٨ هذا ما عبر عنه أمنون أبراموفيتش، كبير المعلقين في قناة التلفزة الإسرائيلية الثانية، مساء ٢٠١٣/٩/٢٠، عندما نقل عن قيادات عسكرية إسرائيلية تشكيكها في قدرة تل أبيب على تسديد ضربة عسكرية قادرة على إجهاد البرنامج النووي الإيراني، علاوة على تشكيكها في قدرة المجتمع الإسرائيلي على تحمل تبعات رد إيران وحزب الله، انظر أيضاً: يوسي ميلمان، "هعولام كفار لو مأمين شيسرايل تنكوف بإيران" (العالم لم يعد يعتقد أن إسرائيل ستهاجم إيران)، ذي بوست، (٢٠١٣/٩/٢٩).

٣٩ يورام إيتنغر، "سوريا اشغيتوت أمريكوت إستراتيجيوت" (سورية أخطاء أميركية إستراتيجية)، إسرائيل اليوم، (٢٠١٣/٩/١١)، <http://www.israelhayom.co.il/opinion/117237>

٣٠ عبر عن هذا الموقف، الباحث في العلاقات الأميركية الإسرائيلية أبراهام بن تسفي، انظر: أبراهام بن تسفي، "أوباما هنياف ديجل لفان" (أوباما رفع الراية البيضاء)، إسرائيل اليوم، (٢٠١٣/٩/٢٥)، <http://www.israelhayom.co.il/opinion/119105>

تضرّ بإسرائيل لأنّ مصلحة الدولة العبرية تتمثّل في عدم إبراز أيّ دور لها في ما يحدث في سورية^(٣٧). من هنا، فإنّ الاتفاق الروسي الأميركي بشأن نزع السلاح الكيماوي سحب الضربة العسكرية بوصفها خياراً حافظاً لمصالح إسرائيل في الولايات المتحدة، ومنع حدوث المزيد من تآكل مكانتها الدولية.

يرى يوفال شطينتس أنّه لا مبرر للقلق من الدور الروسي في الاتفاق، مشيراً إلى أنّ العلاقة الروسية الإسرائيلية يحكمها خيط من المحدّدات، على رأسها العلاقات الاقتصادية النشطة والتعاون الأمني

الدور الروسي

لقد استأثّر الدور الذي قامت به روسيا في التوصل إلى اتفاق نزع السلاح الكيماوي، بقدر كبير من الجدل الإسرائيلي الذي دار حول الاتفاق، ولا سيّما على صعيد دلالات هذا الدور وآثاره في المصالح الإسرائيلية. وقد ساد رأيان أساسيان؛ أحدهما يرى أنّ إحياء الدور الروسي في المنطقة وتعاظمه لن يغيّر كثيراً من واقع موازين القوى العالمية، بمعنى أنّه لن يؤثّر سلباً في احتكار الولايات المتحدة دور القطب الأوحد في العالم دون منازع، وعليه، فإنّ الدور الروسي لا يؤدّن بحدوث تحوّل قد يؤثّر سلباً في إسرائيل، بل قد يساعد تل أبيب على تحقيق مصالحها. وفي المقابل، هناك من رأى أنّ استعادة روسيا دورها ستؤثّر سلباً في المصالح الإسرائيلية، وسيترافق مع الدفع بمزيد من المخاطر أمام الدولة العبرية. وسنحاول مناقشة حجج الطرفين.

تيّار المتفائلين

يرى يوفال شطينتس، وزير الشؤون الإستراتيجية والاستخبارات والعلاقات الدولية الإسرائيلي، أنّه لا مبرر للقلق من الدور الروسي في الاتفاق، مشيراً إلى أنّ العلاقة الروسية الإسرائيلية يحكمها خيط من المحدّدات، على رأسها العلاقات الاقتصادية النشطة والتعاون الأمني، علاوةً على استمرار حوار إستراتيجي فعّال بين الجانبين، على الرغم من

الأنظار إلى حقيقة أنّ أوباما لم يطلب نزع السلاح الكيماوي السوري، بل طالب النظام بعدم استخدامه في حربه ضدّ الثوّار. وهناك من يرى أنّه يجب ألاّ يجري استخلاص استنتاجات "خاطئة" من سلوك أوباما في الملف السوري بشأن سلوكه المستقبلي تجاه إيران. ويرى هؤلاء أنّ تردّد أوباما في استخدام القوّة المسلّحة ضدّ سورية جاء لأنّه غير معنيّ بإضاعة ما لديه من إمكانيات وشرعية في مواجهة قضية هامشية، في حساب المصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة، مثل الكيماوي السوري، وهو يدّخر القوّة العسكرية لتوظيفها في مواجهة إيران، إذا اقتضى الأمر في النهاية. وبخلاف القلقين، فإنّ المتفائلين يرون أنّ الرسالة الأميركية وصلت بقوة، وأنّها السبب الرئيس وراء ما يسمّونه "هجمة الاعتدال" الإيرانية، مشيرين إلى أنّ إيران ستكون حريصة على وفاء الأسد بالتزاماته في الاتفاق، على اعتبار أنّ فشل الاتفاق سيعزّز فرص توجّه واشنطن لشنّ ضربة عسكرية على طهران، مع التأكيد على أنّ ما ساعد على استيعاب القيادة الإيرانية الجديدة الرسالة الأميركية حقيقة أنّ نظام العقوبات الصارم الذي يفرضه أوباما نجح في تهوي الاقتصاد الإيراني^(٣٨). وهناك سبب آخر يدعو المتفائلين للاحتفاء بدور أوباما في التوصل إلى اتفاق نزع الكيماوي الروسي، وهو الحفاظ على المصالح الإسرائيلية داخل الولايات المتحدة. ويرى وزير القضاء الأسبق يوسي بيلين أنّه لولا التوصل إلى الاتفاق الروسي الأميركي لتلقّت منظمة "أيباك"، أهمّ منظمات اللوبي اليهودية وأقواها في الولايات المتحدة، ضربة قويّة؛ إذ أخذت على عاتقها مهمّة إقناع أعضاء الكونغرس بقرار أوباما شنّ ضربة عسكرية على سورية، في حين كانت كلّ الدلائل تشير إلى أنّها ستفشل في مسعاها بسبب إدراك أعضاء الكونغرس حجم المعارضة الجماهيرية لقرار شنّ الضربة؛ وهذا ما كان سيؤثّر في قوّة الردع الكبيرة التي كانت تحظى بها المنظمة في الساحة الداخلية الأميركية، ما يعني تضرّر مصالح إسرائيل أيضاً^(٣٩). واستدرك بيلين أنّه حتّى لو نجحت "أيباك" في تمرير قرار في الكونغرس لفائدة الضربة، فإنّ هذه الخطوة ستعقّد أوضاع إسرائيل الدولية، على اعتبار أنّ العالم يرى في "أيباك" الذراع الطولى لإسرائيل في الولايات المتحدة، ما يجعل الكثيرين يرون في دفع هذه المنظّمة نحو توجيه ضربة لسورية على أنّه تحرّك إسرائيلي مباشر، وسيادة هذا الانطباع

٣٥ هذا ما يصل إليه الملقّق العسكري رون بن يشاي، انظر: رون بن يشاي، "هنسيون هنوآش شل بوتين لتسيل إت أسد" (محاولة بوتين اليانسة لإنقاذ الأسد)، واي نت، (٢٠١٣/٩/٩)، <http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4427688,00.html>

٣٦ يوسي بيلين، "لو لجرور إسرائيل للكتح" (لا تجرّوا إسرائيل إلى المستنقع)، إسرائيل اليوم.

علاقات تحالف مع الروس. في الوقت ذاته، هناك مخاوف من أن تتجه موسكو لإعاقة مساعي إسرائيل الهادفة إلى إحباط المشروع النووي الإيراني، عبر وضع المزيد من العراقيل التي تحول دون اتخاذ المزيد من القرارات في مجلس الأمن الهادفة لتضييق الخناق على النظام في طهران ودفعه للتنازل عن برنامجه النووي^(٤٢).

”

هناك من رأى أن الدور الروسي الحاسم في التوصل إلى اتفاق نزع السلاح الكيماوي يجب أن يثير قلقاً إسرائيلياً عميقاً لأنه يؤذن بتحول كبير قد يفضي إلى عودة نظام القطبية الثنائية

“

ولا شك في أن أبرز دواعي القلق من الدور الروسي، هو إشارة بوتين إلى أن نظام الأسد طور السلاح الكيماوي ردّاً على تطوير إسرائيل السلاح النووي؛ إذ يخشى القلقون أن يمثل هذا التصريح تحولاً يفضي إلى طرح المشروع النووي الإسرائيلي في بؤرة الاهتمام العالمي، بما يقلّص من قدرة إسرائيل على مواصلة طرح المشروع النووي الإيراني بوصفه مصدر تهديد للأمن العالمي^(٤٣).

الخلاصة

على الرغم من وضوح خريطة المصالح الإسرائيلية في سورية، لا تبدو إسرائيل واثقة من آليات التحرك التي اتبعت، والتي يمكن أن تتبع في المستقبل لتحقيق هذه المصالح، ما جعل القيادة الإسرائيلية مترددة في رسم سياساتها تجاه سورية بعد التوصل إلى الاتفاق الروسي الأميركي، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: ليس بوسع إسرائيل العمل بصورة منفردة لتحقيق خريطة مصالحها في سورية، بل إن تحقيق هذه المصالح يتطلب منها تقليص

اختلافهما الواضح في مجال الملف النووي الإيراني^(٣٨). ويرى شطينتس أن "من الغباء" تجاهل الدور الروسي العالمي، مشيراً إلى أن روسيا تصرّفت في الملف السوري بصفتها جزءاً من الحل وليس جزءاً من الإشكالية، "وأنها قامت بخطوة يفترض أن تسهم في تعزيز السلم والأمن الإقليمي والعالمي، ونحن نتوقع أن تحرص روسيا تحديداً على تنفيذ الاتفاق حفاظاً على سمعتها الدولية". وهناك من يرى أن سعي روسيا لتعزيز مكانتها الدولية سيدفعها تحديداً لإلزام الأسد بالوفاء بما التزم به في الاتفاق، على اعتبار أن الأمر يمنح القيادة الروسية صدقية أكبر في الساحة الدولية^(٣٩). ويرى سفير إسرائيل الأسبق في واشنطن زلمان شوفال أن القواسم المشتركة بين إسرائيل والولايات المتحدة من جهة وروسيا من جهة أخرى أكبر من مواطن الاختلاف، ولا سيما في ظل حقيقة أن الأطراف الثلاثة يساورها القلق نفسه من خطر الجماعات السلفية، وبخاصة جبهة النصرة، إلى جانب التقاء مصالح الروس والأميركيين والإسرائيليين في عدم بروز قوة إسلامية قوية في المنطقة، وبالتالي لا يتوقع أن توظف روسيا دورها للمس بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بمصالح إسرائيل^(٤٠).

تيار القلقين

وفي مواجهة المتفائلين، هناك من رأى أن الدور الروسي الحاسم في التوصل إلى اتفاق نزع السلاح الكيماوي يجب أن يثير قلقاً إسرائيلياً عميقاً لأنه يؤذن بتحول كبير قد يفضي إلى عودة نظام القطبية الثنائية، في ظل توجه إدارة أوباما لتقليص دورها العالمي. ويحذر هؤلاء من أن تؤدي عودة الروس النشطة للمنطقة إلى عملية إعادة اصطاف إقليمي، تؤدي إلى بلورة تحالف متجانس يعتمد في الأساس على المركب الشيعي، تقوم روسيا بدور الراعي له، في ظل عدم وجود تحالف مقابل يمكن أن يمثل ردّاً ملائماً، ما يزيد من الأعباء على كاهل إسرائيل^(٤١). ويشير القلقون إلى أنه في ظل مظاهر عدم الرغبة في التدخل في شؤون المنطقة التي تبديها إدارة أوباما، فمن غير المستبعد أن يفقد حلفاء الولايات المتحدة العرب الثقة فيها ويتجهوا لنسج

٣٨ ليثور مزراحي، المرجع نفسه.

٣٩ شلومو بروم، دفيد برفمان، المرجع نفسه.

٤٠ زلمان شوفال، "روسيا حوزيرت لمزراح هتيخون" (روسيا ترجع للشرق الأوسط)، إسرائيل اليوم،

<http://www.israelhayom.co.il/opinion/117241>

٤١ إيزي ليدر، "هانتس هروسو" (المصلحة الروسية)، إسرائيل اليوم، (٢٠١٣/٩/٢٢).

<http://www.israelhayom.co.il/opinio n/118143>

٤٢ انظر: شالوم يروشالمي، "بامتسع سدي هموكشيم" (وسط حقل الألغام)، معاريف، (٢٠١٣/٩/١٥).

<http://www.nrg.co.il/online/1/ART2/507/179.html?hp=1&cat=479&loc=2>

٤٣ المرجع نفسه.

أن تحدث تحولات تُربك الحسابات الإسرائيلية، وتفاقم من حالة انعدام اليقين التي تتسم بها سياسات تل أبيب.

رابعاً: تسعى إسرائيل بوضوح إلى أن يجري تصميم التحرك الدولي ضد النظام السوري بصورة تؤثر في التعاطي مع الملف النووي الإيراني بما يخدم مصالحها. لكن في المقابل، فإن متطلبات مواجهة النووي الإيراني تختلف اختلافاً كبيراً عن متطلبات التعاطي مع النظام السوري، علاوة على أن سلوك النظام الإيراني في المحافل الدولية، ولا سيما بعد انتخاب الرئيس حسن روحاني يعقد الأمور أمام إسرائيل ويقلص من دافعية القوى الدولية الأخرى لتبني موقفها منه.

خلاصة القول، إن إسرائيل تطمح أن يلتزم النظام السوري بكل ما جاء في الاتفاق الروسي الأميركي لنزع السلاح الكيماوي، وأن يجري تصميم المشهد السياسي الداخلي السوري بما لا يشكل تهديداً لها، وتأمل أن يكون الاتفاق سابقة تمهد لتعاطٍ مماثل مع الملف النووي الإيراني. لكن المشكلة التي تواجهها تل أبيب في طريقها لتحقيق هذه الأهداف، هي عجزها عن توفير الظروف التي تضمن تحقيقها.

مظاهر تدخلها في الشأن السوري، وهو ما يعني اعتماد تل أبيب على قوى أخرى بإمكانها التأثير في المشهد السوري.

ثانياً: على الرغم من علاقات التحالف التي تربط إسرائيل والولايات المتحدة، ومع وجود بعض مظاهر التقاء المصالح بين إسرائيل والقوى الدولية الأخرى المؤثرة في المشهد السوري، ولا سيما روسيا، فإن هذا لا يعني بحال من الأحوال تطابق الاعتبارات التي تحكم إسرائيل من جهة وهذه القوى، بل تتضارب الاعتبارات في بعض الأحيان، وهذا بحد ذاته يعقد قدرة إسرائيل على تحقيق مصالحها في سورية، ويجعل سياساتها تجاه دمشق تعاني من حالة انعدام اليقين، وهذا ما قد يحول بعض الفرص التي ترصدها تل أبيب إلى مخاطر.

ثالثاً: على الرغم من حالة عدم الحسم السائدة في سورية، فإن الوضع هناك في المقابل دينامي، ولا يمكن لإسرائيل ولا لغيرها التحكم في الظروف السائدة في القطر السوري، ما يعني أنه ليس من المستبعد